

تَفْرِيع

مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الْفِتَنِ



فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
فُوَادِ بْنِ سَعْدِ الْعَمَرِيِّ
حَفِظَهُ اللَّهُ



miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرُّ موقع ميراث الأنبياء وضمن فعاليات دورة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ
الشرعية أن يقدم لكم تسجيلًا لمحاضرة
في الأمن الفكري بعنوان:

موقف المسلم من الفتن

ألقاها

فضيلة الشيخ فؤاد بن سعود العمري

- حفظه الله تعالى -

بجامع الأميرة حصة بمدينة جدة يوم الأربعاء السادس من شهر شعبان عام
خمسة وثلاثين وأربع مائة وألف هجرية.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

نَسَّأَ لُؤْنَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ النساء: ١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الله - جل وعلا - خلق الخلق لغاية عظيمة ومهمة جليّة أبان عنها ربنا - تبارك وتعالى - في كتابه، وبينها نبينا - صلى الله عليه وسلم - في سنته قال ربنا - جلّ وعلا -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ الذاريات: ٥٦

فالله - تبارك وتعالى - خلق الخلق لعبادته، خلق عالم الثقلين الإنس والجن من أجل توحيده، من أجل إفراده - تبارك وتعالى - بالعبادة وجاء في الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال

لمعاذ ذات يوم «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ»

وقد عاش نبينا -صلى الله عليه وسلم- منذ أن بعثه ربه -تبارك وتعالى- وحتى توفاه عاش في بيان هذا الأصل العظيم وتوضيح هذا الأصل الكبير وما مات -عليه الصلاة والسلام- إلا وقد أكرمه ربه -جلّ وعلا- بتلكم الكرامة العظيمة وتلكم المنّة الكبيرة أكرمه بأن أتم له هذا الدين، أتم له هذه الشريعة التي أنزلها عليه، نزل قوله -جلّ وعلا-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ حتى حسدنا عليها أهل الكتاب.

جاء رجلٌ كما في الصحيح إلى أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين إلى عمر -رضي الله عنه- وعن الصحابة أجمعين قال له: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ كَانَ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَا تَخَذُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: "وَأَيُّ آيَةٍ؟" قَالَ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا سورة المائدة آية ٣. فَقَالَ عُمَرُ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ الْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعَرَفَاتِ يَوْمِ جُمُعَةٍ» فما أعظم هذه المنّة وما أجل هذه الكرامة من رب العزة والجلال على نبيه -عليه الصلاة والسلام- وعلى أمته من بعده.

ومما جاء بيانه وذكره في كتاب الله -جلّ وعلا- أن الله -تبارك وتعالى- خلق الخلق لعبادته وأمرهم بذلك وأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة وكانت

هناك سنن من رب العزة والجلال يبتلي بها عباده حتى يعلم ربنا -جلّ وعلا- الصادق من الكاذب وربنا -تبارك وتعالى- يعلم ذلك -جلّ وعلا-.

فالابتلاء سنة ماضية كتبها ربنا -جلّ وعلا- على عباده حتى يعلم الصادق من الكاذب قال ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: ٢،

تأمل يا رعاك الله إلى هذه الآية العظيمة التي افتتحها ربنا -تبارك وتعالى- بأداة الاستفهام ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: ٢

فلا استفهام هنا للإنكار ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: ٢، قال ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت: ٣

قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تبارك وتعالى-: "الاستفهام في قوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾ للإنكار والمعنى أن الناس لا يتركون دون فتنة أي ابتلاء واختبار لأجل قولهم آمنا بل إذا قالوا آمنا تأمل فتنوا أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله آمنا من غير الصادق"،

ثم ذكر بعد ذلك نظائر لهذه الآية العظيمة في كتاب الله -جلّ وعلا- تبين ما قرره ربنا -تبارك وتعالى- في سورة العنكبوت قال: "وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في

آياتٍ آخر من كتاب الله كقوله -تعالى-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة:

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٤٢) آل عمران:

١٤٢

وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١) محمد: ٣١،

وقوله-تبارك وتعالى:- ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران:

١٧٩

وقوله-تبارك وتعالى:- ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

(١٥٤) آل عمران: ١٥٤،

وقوله- تعالى:- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا

رَسُولِهِ مَسْجِدَ اللَّهِ وَلِجَّةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) التوبة: ١٦ قال إلى غير ذلك من الآيات

فتأمل في هذه الآيات العظيمة توضح لك سنة من سنن رب البريات فالابتلاء سنة ماضية حتى يميز ربنا -جلّ وعلا- الخبيث من الطيب كما قال ربنا -تبارك وتعالى- فيما مضى معنا مما ذكره الشيخ -رحمه الله تبارك وتعالى- فالفتنة وهي موضوع هذا اللقاء وموقف المسلم منها هو مدار حديثنا بإذن الله -جلّ وعلا-.

والفتنة المراد بها: ما يعرض للعباد، ما يعرض للمسلم، ما يعرض للمؤمن، في مسيره إلى الله -

جلّ وعلا- من بلايا ومحن في أمور في دينه ودنياه.

فهذه الابتلاءات وهذه المحن التي يواجهها المسلم في حياته ما هو موقفه الشرعي؛ لأنَّ المسلم ليس كغيره، المسلم ملتزم بما جاء في كتاب الله -جلّ وعلا- وبما جاء في سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-،

المسلم يمشي في هذه الحياة على نورٍ من ربه، يمشي على هدى من كتاب ربه -تبارك وتعالى- ومن سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، لا تجد المسلم يتخبطُ يمنةً ويسرةً إنما الموفق الذي يصدر عن كتاب ربه -تبارك وتعالى- وعن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- فتجد هذا الموفق يسأل دائماً عن الموقف الشرعي الذي يسلكه والذي يقفه عند أي أمرٍ يواجهه فإنَّ هذه الشريعة التي أنزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- ما كان فيها تفريط في أي شيء كما قال ربنا -تبارك وتعالى- ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨،

فالخير والسعادة والعز والفلاح والنجاة هي في كتاب الله -جلّ وعلا- وفي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) طه: ١٢٣ - ١٢٥

تأمل ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا﴾ وكذلك اليوم نسئ (١٢٦) طه: ١٢٦، احذر يا عبد الله أن تكون ممن نسي آيات ربه -تبارك وتعالى- في هذه الحياة، فهذا كتاب ربنا -جلّ وعلا- بين أيدينا وهذه سنته -عليه

الصلاة والسلام- قامَ الإئمةُ الفُحول على مَرِّ الأزمانِ والدهور قاموا بحفظها وصيانتها وتمييز صحيحها من سقيمها، ها هي بين أيدينا، وهأهم علماءنا وأشياخنا مُتوافرون والله الحمد والمنة.

فالواجبُ على المؤمن الناصح لنفسه العاَمِلِ على نجاتِها أن يسأل عن موقفه الشرعي، يسأل أهل العلم، يسأل أهل الذكر، يسأل أهل البصيرة عن موقفه الشرعي من جميع ما يعترض طريقه، وجميع ما يأتي في مسيره إلى الله -جلّ وعلا- والدار الآخرة حتى يَقِفَ أمامَ تلكم الفتن وأمامَ تلكم الأعاصير، وأمامَ تلكم الأمواج، يقِفُ ثابتًا راسخًا لا تضره فتنة، مادامت السموات والأرض، متى يكونُ هذا؟

عندما يعتصم المرء بكتابِ ربه -جلّ وعلا- وبسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- على تفاصيل سوف تأتي معنا بإذنِ الله -جلّ وعلا- عندما نذكر الموقف الشرعي للمُسلم عند حدوثِ وحلولِ الفتن.

مما يُذكر في أمر الفتن إضافةً إلى ما مرَّ ذكره مما جاء في كتاب الله -جلّ وعلا- أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن هذه الفتن، وكان كثيرا ما يُخبر أصحابه الكرام عنها، وما هذا منه -عليه الصلاة والسلام- إلا نُصحًا لهذه الأمة وحرصا عليها، بأبي هو وأمي -صلوات الله وسلامه عليه-

مما جاء في هذا، مما جاء من إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الفتن وعن وقوعها ما أخرجه البخاري ومسلم في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»

تأمل جعل أو أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن من علامات آخر الزمان أن الزمن يتقارب، وأن العلم ينقص، وأن الشح يلقي في الناس وأن الفتن تظهر وأن الهرج يكثر، «قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ قَالَ الْقَتْلُ».

وجاء كذلك عند مسلم في الصحيح أن أبا إدريس الخولاني كان يقول: «قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ»

حُذَيْفَةُ -رضي الله عنه- صاحب سر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- الشيء الكثير من ذلك أمر الفتن، وكذلك مما خصه به النبي -صلى الله عليه وسلم- خصه بذكر أسماء المنافقين.

هنا حُذَيْفَةُ -رضي الله عنه- تأمل يقول: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَسَرَ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحْدِثْهُ غَيْرِي وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدَنُ يَذَرْنَ شَيْئًا وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صَغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ قَالَ حُذَيْفَةُ فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي».

وجاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اسْتَيْقِظَ لَيْلَةً فَرِجًا يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ!»

تأمل قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ! مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرَاتِ؟ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّيْنَ «رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»

وجاء كذلك عند صاحب الصحيح عند مُسْلِمٍ بن الحجاج - رضي الله عنه - والحديث في الصحيحين من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: " كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَتَّصِلُ - وَالْإِتِّصَالُ الرَّمْيُ بِالسَّهْمِ - وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ - أَيِ فِي أَمْرِ بِهِائِمِهِ يَقُومُ عَلَى مَرَعَاهَا - إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ - انْظُرْ إِلَى خَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقَّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ - انْظُرْ إِلَى شِدَّةِ هَذِهِ الْفِتَنِ وَكَيْفَ كَانَ وَقَعُهَا عَلَى النَّاسِ فَمَا تَأْتِي الْفِتْنَةُ إِلَّا وَيَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ هَذِهِ هَذِهِ أَيِ إِنَّ هَذِهِ مُهْلِكَتِي وَمَا يَلْبَثُ قَلِيلًا إِلَّا وَتَأْتِي فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا - قَالَ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا،

وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرَّقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطْعَمْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟، فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ وَوَعَاةَ قَلْبِي «

تأمل في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- وهو يذكر شيئاً كبيراً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أمر الفتن وأن هذه الفتن يرقق بعضها بعضاً، وأن هذه الفتن تأتي ويقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم ما يلبث وتأتي فتنة بعدها فيقول: هذه هذه، لشدة وقع تلك الفتن وعظيم أمرها.

مما جاء كذلك في خبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمر الفتن وبيان ذلك لأمته ما جاء عند مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

انظر «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ» توجيهه من النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى التزود من الأعمال الصالحة والإكثار من فعل الطاعات والقربات،

ثم قال: «فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» تأتي على المرء من شدة هذه الفتن وعظيم وقعها وكبير أمرها أن المؤمن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً -والعياذ بالله، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، قال: «يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

جاء عند الإمام أحمد بسند حسن بمجموع طرقه، قال -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَأَنَّهَا قِطْعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ثُمَّ يُمَسِّي كَافِرًا وَيُمَسِّي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَقْوَامَ خَلْقِهِمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرُ أَوْ بِعَرَضٍ الدُّنْيَا» خلاقهم أي نصيبهم.

قال الحسن البصري الراوي عن الصحابي، قال -رضي الله عنه- التابع الجليل: "وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُورًا وَلَا عُقُولَ، أَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ" يذكر أناساً سقطوا في الفتن،

يقول: "وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُورًا وَلَا عُقُولَ، أَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ، فَرَأَيْنَا نَارًا وَذَبَابًا طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرْوَحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ" -والعياذ بالله-، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- في تمام الحديث لما قال: «يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»

وكذلك مما جاء في خبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمر الفتن ما جاء في الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث حذيفة -رضي الله عنه- قال: «كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ الْفِتْنَ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلٌ قَالَ تِلْكَ تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ الْفِتْنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَأَسْكَتَ الْقَوْمَ فَقُلْتُ أَنَا قَالَ أَنْتَ اللَّهُ أَبُوكَ

قَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا.

وفي بعض روايات هذا الحديث: عودًا عودًا «فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْبَتُهُ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْبَتُهُ بَيَاضًا حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصِّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَتُهُ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»

قال حذيفة: «وَحَدَّثْتُهُ» أي عمر «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ قَالَ عُمَرُ أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ قُلْتُ لَا بَلْ يُكْسَرُ وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ قَالَ أَبُو خَالِدٍ فَقُلْتُ لِسَعْدٍ يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًا قَالَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ قَالَ قُلْتُ فَمَا الْكُوزُ مُجْحِيًّا قَالَ مَنْكُوسًا» هذا لفظ مسلم الذي مضى،

وفي رواية في الصحيحين يقول عمر: «لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ وَلَكِنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ قُلْتُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا قَالَ أَيُّكْسَرُ أَوْ يُفْتَحُ قُلْتُ بَلْ يُكْسَرُ قَالَ إِذَا لَا يُغْلَقُ أَبَدًا قُلْنَا» الآن يسألون حذيفة - رضي الله عنه - «أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مِنَ الْبَابِ قَالَ نَعَمْ كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ فَهَبْنَا حُذَيْفَةَ أَنْ نَسْأَلَهُ مِنَ الْبَابِ فَأَمَرَنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ الْبَابُ عُمَرُ» الباب الذي يكسر هو عمر - رضي الله عنه - ومعلوم قصته - رضي الله عنه - وعن الصحابة أجمعين ومعلوم ما حصل في أهل الإسلام منذ أن كسر ذلكم الباب إلى

يومنا هذا، قتل الخليفة الراشد ثالثهم عثمان - رضي الله عنه - وخُرج على علي وقتل كذلك - رضي الله عنه - وحصل ما حصل في أمة الإسلام إلى يومنا هذا، وهذا كله مما أخبر عنه النبي - صلى الله عليه وسلم -.

مما يذكر كذلك في أمر الفتن وما جاء فيها من خبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وما جاء عن الصحابة الكرام، مما يذكر هنا اهتمام أهل العلم بهذا الباب اهتماماً عظيماً فكتبوا فيه مؤلفات، منها المؤلفات المفردة كالفتن لنعيم بن حماد والسنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، وهناك مؤلفات ضُمنت في كتب الحديث ككتاب الملاحم عند أبي داود وغيره، وبعد تلكم القرون المفضلة صُنفت مصنفات في هذه الأبواب العظيمة وهي كثيرة جد كثيرة، وما هذا إلا لعناية العلماء بهذا الباب لعظيم الحاجة إليه وشدة حاجة أهل الإسلام إلى هذا الأمر.

بعد هذا نذكر أقسام الفتن وأنواعها، مما مضى في نصوص الوحيين يتضح لنا كثرة الفتن، ويكاد يقول المرء أنها لا حدّ لها ولا عدّ، لكن أئمة هذا الدين أرجعوا الفتن كلها إلى باين:

❖ **الباب الأول:** فتن متعلقة بالشبهات

❖ **والباب الآخر:** فتنة متعلقة بالشهوات

فجميع الفتن وكلها يدخل إما في باب الشبهات، وإما في باب الشهوات، وهذان البابان من الخطورة بمكان أمرهما، لكن الأول أخطر وأعظم، باب الشبهات أعظم وأخطر من باب

الشبهات؛ لأن المرء ينفذ عليه الداخل من هذا الباب إلى أمر اعتقاده، ويدخل عليه إلى أمر اتباعه، فيحصل الضرر العظيم في هذين البابين: أعني:

■ باب العلم

■ وباب العمل

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر بحدوث هذا، أعني وقوع الضلال في هذه الأبواب، جاء في حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - لما وعظ النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه تلكم الموعظة البليغة، قال أحدهم: «يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهُمْ مَوْعِظَةٌ مُودِعٍ فَأَوْصِنَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا...»

هذا الاختلاف الواقع الذي أخبر عنه النبي - عليه الصلاة والسلام - هو في هذا الباب ألصق، أعني بباب الشبهات، ومن جرّاء هذا الاختلاف افترق أهل الإسلام إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كما جاء في حديث الافتراق «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» هذا الضلال حصل بسبب الشبهات، ولأجل هذا المؤمن يكون حريصًا على دينه، حريصًا على معتقده، حريصًا على اتباعه، يكون سنياً سلفياً متمسكاً بكتاب ربه - جلّ وعلا - وبسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - عاضاً بالنواجذ عليهما،

سائرًا على هدي الخلفاء الراشدين والصحابة المرضيين، على هدي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- لما أخبر عن حدوث الاختلاف في أمته أبان عن ما يحصل لهم به النجاة، أبان عن الدواء الناجح والشفاء العظيم، لما قال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» كما جاء في بعض الروايات.

والخطب عظيم في باب الشُّبهات؛ لأنَّ هذا الباب أهله يظنون أنَّهم على هُدى وأنَّهم على حقٍّ، ولأجل هذا لا تكاد تجد من أهل هذا الباب من يرجع إلا أن يشاء الله، وقد جاء الحديث الذي حسَّنه العلامة الألباني -رحمه الله وغفر له-: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ»؛ قال الإمام أحمد في بيان هذا: أَنَّهُ لَا يُؤَوَّقُ لِلتَّوْبَةِ. لماذا؟

لأنَّه يظنُّ أَنَّهُ على خير، وأنَّه على هُدى وأنَّه على حقٍّ وأنَّه على قُرْبَةٍ، وأنَّه على طاعة، بخلاف من يقع في باب الشَّهوات نعم باب الشهوات بابٌ خطير جدَّ خطير، لكنَّه دون الأوَّل؛ صاحب الشَّهوة إذا ما ذكَّرتَه بالله -جَلَّ وعلا-، إذا ما نصحتَه فَإِنَّهُ يُسَلِّمُ لك بالخطيئة الذي هو فيه، وبالمخالفة التي هو عليها، وبالمعصية التي ارتكبها.

أما أصحاب الشُّبهات فإنهم يجادلون، بل قد يُناظرُك الواحد منهم ويورد لك الشُّبهَ يظنُّها حُجَج وهي كثيرةٌ، وكثيرةٌ جدًّا؛ والنَّاظر في التاريخ يجد فتنًا عظيمة في هذا الباب لا زالت إلى يومنا هذا؛ خرجت الخوارج وخرج رأسهم أوَّل ما خرج في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وخرجت الرافضة، وخرج المتصوِّفة، وخرجت الجهميَّة، وخرجت من بعد ذلك المُعتزلة، ولا زال الأمر إلى يومنا هذا؛ نسمع بأصحاب الشُّبهات، بأصحاب الأهواء والضلالات إلى يومنا هذا؛ فالخطب في هذا الباب كبير، فيحذر المرء أشدَّ الحذر منه.

وأما ما جاء بالفتن المتعلقة بالشَّهوات، كذلك كثيرة من ذلك مما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- ما جاء عند مسلم في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- لما قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ فِي النَّسَاءِ**»،

وجاء في الحديث الآخر المُخرَّج عند الترمذي وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله-: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ**».

والله -جلَّ وعلا- جمع بين الفتنين في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ لِكَالِدِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَاطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾

تأمل في قوله -جل وعلا-: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ التوبة: ٦٩ أي تمتعوا بنصيبيهم من الدنيا وشهواتها ثم قال -جل وعلا-: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ التوبة: ٦٩،
الأول متعلق بالشهوات لما قال ربنا: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ التوبة: ٦٩ أي بنصيبيهم المقدر،
لشهواتهم

والآخر المتعلق بالشبهات في قول -جل وعلا-: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ التوبة: ٦٩ فهذا
الخوض بالباطل وهو الشبهات فربنا -جل وعلا- ذكر في هذه الآية ما يحصل به فساد القلوب
والأديان من الاستمتاع بالخلق، والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل
والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح كما ذكره العلامة السعدي -رحمة الله تبارك وتعالى
عليه-.

بعد هذا العرض والذي هو كالتوطئة ننتقل إلى موقف المسلم من الفتن، لما تنزل الفتن وتحل
بشتى أنواعها وكثرة قرونها، ما هو الموقف الشرعي للمسلم من هذه الفتن؟

أولاً: الاعتصام بكتاب الله -جل وعلا- وبسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد جاء الأمر
بالتمسك وبالطاعة لله -جل وعلا- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- في آيات كثيرة في كتاب الله -
جل وعلا- وبسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك قوله -جل وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩

وكذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٨

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) طه: ١٢٣

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن

تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ﴾ (٥٤) النور: ٥٤

وجاء عند الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تركْتُ فيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي» تأمل يا رعاك الله في هذا الحديث العظيم الذي أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرنا بأنه ترك فينا ما إن تمسكنا به لن نضل أبداً، ما هما ؟

كتاب الله - جل وعلا - وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فما على الواحد منا الذي يريد السلامة والأمن من الغواية والضلال إلا أن يعتصم بالكتاب والسنة.

وجاء عند مسلم من حديث جابر قوله - عليه الصلاة والسلام -: «تركْتُ فيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ»

وهذا الحديث يدل كذلك على السنة؛ لأن ما جاء في كتاب الله - جل وعلا - أو مما جاء في كتاب الله - تبارك وتعالى - الأمر بلزوم السنة، سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكره أنها وحي من رب

العزة والجلال ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) النجم: ٣ - ٤

كذلك مما يذكر في هذا الباب، باب موقف المسلم من الفتن لزوم جماعة المسلمين، في حديث حذيفة الحديث المشهور، الحديث العظيم الذي قال فيه: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي»

انظر إلى ما كان عليه هذا الصحابي الجليل - رضي الله عنه - هو يذكر لنا حاله هنا مع النبي - عليه الصلاة والسلام - وأنه كان كثيرًا ما يسأله عن الشر وأبان عن سبب هذا السؤال، قال: «مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي» فسأله من باب معرفة الشر،

عرفت الشر لا للشر لكن للتقيه ❁❁❁ ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

وقد ذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله - في بعض كتبه "كالدواء والدواء" وغيرها أن الناس في هذا الباب على أقسام أربع:

- ❑ منهم من لا يعرف الخير ولا الشر وهذا أدنى، بل أصحاب هذا القسم على خطر عظيم.
- ❑ ثم بعد ذلك من يعرف الخير ولا يعرف الشر فهذا يدخل عليه الباطل من أبواب الشر.
- ❑ ومنهم من يعرف الشر ولا يعرف الخير هذا يدخل عليه الباطل من أبواب الخير.
- ❑ وأهل الدرجات العلى، أفضل هذه الأقسام من يعرف الخير ويعرف الشر يعرفون الخير مفصلاً ويعرفون الشر مفصلاً.

ابن القيم لما ذكر هذه الأنواع الأربع قال: "وفي هؤلاء يكون الأئمة في الدين" أئمة الدين إنما يكونون من أهل هذا الصنف، من يعرف الخير مفصلاً ويعرف الشر مفصلاً، وهنا حذيفة - رضي

الله عنه - يخبر عن حاله مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أشار قبل ذلك إلى ما كانوا فيه من الجاهلية والشر «إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ» معذرة أشار بعد ذلك،

نعم قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: {نَعَمْ} فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: {نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ} قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: {قَوْمٌ يَسْتَنْوْنَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ} فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: {نَعَمْ؛ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا} فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا...»

انظر إلى السؤال يريد أن يعرف أدق التفاصيل عن أهل الشر وعن صفاتهم وعن أحوالهم، «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّتِنَا...» إذا ليس لسانهم لسان أهل الغرب الكافر، وإنما هو يتكلم بلسان أهل الإسلام بل حتى مظهره مظهر أهل الإسلام هم «مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّتِنَا» لأجل هذا انظر إلى شدة هذا الأمر على من لم يتمسك بكتاب ربه - جل وعلا - وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - عندما يتكلم أمثال هؤلاء في أمور الناس العامة،

وكم جرَّ الأمر من ويلات من جراء هذا!!،

كم حصل التَّخبط عند كثيرٍ من النَّاسِ، بسبب أنهم يصغون بأذانهم إلى أمثال هؤلاء، ممن هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا!!،

كم من فتنٍ مرَّت بأهل الإسلام، ومع الأسف الشديد تجد دعاة الباطل أو الذين يدعون على أبواب جهنم، هم الذين يتكلمون في هذه المسائل العظام، وتجد هؤلاء يلتفتون إليهم فيحصل العطب، ويحصل الخلل، ويحصل الانحراف ويحصل الضلال، نحن في هذه البلاد المباركة ما عرفنا منذ أن قامت في أول أمرها، ما عرفنا إلا التَّوحيد والسُّنة، هذه البلاد المباركة قامت أول ما قامت، لما حصل ذلكم الاتفاق بين ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود عام سبع وخمسين ومائة وألف في أواخرها،

تناصرا على نصره التوحيد والسُّنة، ثُمَّ مرَّت بمراحل ونحن الآن في الدولة السُّعودية الثالثة التي أقامها الملك عبد العزيز -رحمه الله- وناصره أئمة الدين، قامت هذه البلاد منذُ أوَّل يومٍ على التَّوحيد والسُّنة.

لازلنا إلى يومنا هذا نسمعُ من يُشكِّك في معتقد أهل هذه البلاد، بل من يريد أن ينشر الضلالة والانحراف، وينشر الأفكار الضالة، والمناهج المحدثه المبتدعة بين أهل هذه البلاد، ولازالوا ولكن لله الحمد والمِنَّة لازال أئمة الدين في كل عصر ومصر، يقومون بالواجب الشرعي تجاه هؤلاء، يُبينون ضلالهم ويبينون انحرافهم، ولازال علماءنا وأشياخنا موجودين ومُتوافرين والله الحمد والمِنَّة تصدرُ منهم الكتابات، وتصدرُ منهم التَّوجيهات، كسماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله-

والعلامة محمد الصالح العثيمين - رحمه الله -، والآن سماحة المفتي، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ صالح اللحيدان، وشيخنا الشيخ ربيع بن هادي، وغيرهم من أئمة هذا الدين، حفظ الله الأحياء ورحم الأموات، هنا يقول حذيفة - رضي الله عنه -: «صِفْهُمْ لَنَا» قال: «هُمْ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قَالَ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ» انظر، قال: «تَلْزَمُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟»

لو قُدِّرَ في زمنٍ من الأزمان لرجلٍ أَنَّهُ ما كان هناك إمام ولا جماعة ماذا يفعل؟ قال - عليه الصلاة والسلام -: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا» لا تدخل في جماعة من الجماعات، ولا تدخل في حزبٍ من الأحزاب، ولا تدخل في منهج من هذه المناهج المبتدعة، وإنَّما تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، تعتزل تلك الفرق كلها، قال: «وَلَوْ أَنْ تَعْصِ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» العبرة بالخواتيم، العبرة بما يُختم لك يا عبد الله،

انظر هنا النبي - عليه الصلاة والسلام - ماذا يقول لهذا الصَّحَابِي، قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصِ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» ما دخلت في شيءٍ من أمور الجاهلية، ما دخلت في شيءٍ مما يُخالف ما جاء في كتاب الله - جلَّ وعلا - وما جاء في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - كذلك مما يُذَكِّرُ هنا في هذا الباب، الموقف الشرعي للمسلم عند الفتن، لزوم العلماء، لزوم غرزهم، والصَّدُور عن قولهم، «الْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا» كما جاء في الحديث عند أحمد في المسند «إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّ وَافِرٍ»

والفتن لما تأتي لا يعرفها إلا العلماء كم من فتن مرت تجد أول من يتكلم فيها العلماء، لما حصل ما حصل عندنا من بعد أزمة الخليج إلى يومنا هذا تظهر فتنة وإذ بالعلماء يُحذرون منها من أول يوم ويبيّنون ضلالتها ويبيّنون ما فيها من الأباطيل.

يقول الحسن البصري - رحمه الله -: "إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"

انظر إلى الفرق بين أهل العلم وبين غيرهم يقول الحسن البصري كما عند ابن سعد في الطبقات: "إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل" حينذاك لا مزية؛ لأن العلماء لا يساؤون بغيرهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٩

والله - جلّ وعلا - أدب عباده بأدب عظيم فقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ﴾ النساء: ٨٣ هذا حال من؟ حال أهل النفاق ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ﴾ أما أهل الإيمان فحالمهم يختلف وطريقهم مغاير يقول ربنا - جلّ وعلا -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ﴾ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ النساء: ٨٣

قال العلامة السعدي عند هذه الآية تأمل: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وشؤون المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرياسة الذين يعرفون الأمور

ويعرفون المصالح وضدها فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحرزاً من أعدائهم فَعَلُوا ذَلِكَ وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرّهم تزيد على مصلحته لم يذيعوه ولهذا قال ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي يستخرجونه بذكرهم وآرائهم السديدة وعُلومهم الرشيدة

يقول الشيخ: "وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحثٌ في أمرٍ من الأمور ينبغي أن يؤلى من هو أهلٌ لذلك ويُجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ"

كذلك مما يُذكر في هذا الباب مما يدل على عظيم هذا الباب أعني لزوم العلماء والصُدور عن قولهم ورأيهم ما نقله لنا أئمتنا وأسلافنا عما كان عليه الحال في ذلكم القرن والذي يليه تلکم القرون المفضلة «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» كما في الصحيحين.

اسمع إلى ما جاء عند مسلم في الصحيح أخرج مسلم عن يزيد الفقيه قال: «كَانَ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيُ الْخَوَارِجِ»

يقول يزيد «كَانَ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيُ الْخَوَارِجِ، فَكُنْتُ رَجُلًا شَابًّا، قَالَ: فَخَرَجْنَا فِي عَصَابَةِ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ الْحَجَّ» يريدون الحج وبعد الحج يريدون الخروج على أهل الإسلام قال: «فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن حرام الصحابي ابن الصحابي - رضي الله عنهم جميعاً - قال: «فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسًا إِلَى سَارِيَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَذْكُرُ الْجَهَنَّمِيِّينَ» الذين يخرجون من النار بعد دخولها حديث مشهور

قال: «فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ وَاللَّهُ يَقُولُ: إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ سورة آل عمران آية ١٩٢؟»

تأمل وهذا لعله مما فاتني ذكر أسباب الوقوع في الفتنة:

■ منها اتباع المتشابه وترك المحكم

■ ومنها عدم جمع النصوص الواردة في الباب الواحد

■ ومنها الجهل.

نعم هذا مما فاتنا ذكر أسباب الوقوع في الفتنة هذه منها، هنا يقول هذا يقول يزيد يريد أن يحتج على صاحب رسول الله لما ذكر حديث الجهنميين وأنهم يخرجون من النار قال: «وَاللَّهُ يَقُولُ: إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ سورة آل عمران آية ١٩٢؟ وَكُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا سورة السجدة آية ٢٠، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»

انظر إلى أهمية الرجوع إلى أهل العلم والصدور عنهم وعدم الاعتداد بالرأي ومع الأسف الشديد أصبح هذا الباب منخرقاً إلا ما رحم ربي، أصبح كل من يحسن الكلام وكل من يحسن العبارة يتكلم وليته يتكلم في أمر يخصه هو بل تجده يتكلم في أمر يخص أهل الإسلام بأجمعهم هنا يقول: «فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ ؟ قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضَعَ الصَّرَاطِ، وَتَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ،
قَالَ: فَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ حَفِظْتُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ إِذْ كَانُوا فِيهَا، قَالَ:
فَيَخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيُغْسَلُونَ فِيهِ، قَالَ: فَيَخْرِجُونَ
كَأَنَّهُمْ الْقَرَّاطِيسُ الْبَيْضُ "، قَالَ: فَزَجَعْنَا مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ وَاحِدٍ»

انظر أراد الله - جل وعلا- بهم الخير لما أورد لهم هذا الحديث الذي سمعه من النبي -عليه
الصلاة والسلام- حديث الشفاعة رجع هذا ثم قال لهم ويحكم أترون الشيخ يقصد جابر يكذب
على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ «قَالَ: فَزَجَعْنَا مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ وَاحِدٍ»

مما يذكر في هذا الأمر وهو لزوم العلماء والصدور عن قولهم ورأيهم إضافة إلى ما مضى ما
أخرجه مسلم في صحيحه بل هو أول حديث أخرجه وفي تلكم القصة العظيمة التي حدثت مع
الصحابي الجليل عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين.

جاءنا يحيى بن يعمر قال: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُفْنِيِّ فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ
بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيُّ حَاجِّينِ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -».

انظر إلى ما كانوا عليه عندما تنزل بهم النوازل خرج عندهم هذا القول بالبصرة ما ذهبوا يمنية
ويسرة تقصدوا أن يأتوا إلى المدينة وأن يأتوا إلى بعض أصحاب رسول الله كما جاء في القصة التي
قبلها مع جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- هنا جاء إلى المدينة: «حَاجِّينِ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا

أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ فَوَقَّعَ اللَّهُ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ فَاسْتَنْفَتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أبا عبد الرحمن إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَفَقَّهُونَ الْعِلْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَالْأَمْرَ أَنْفٌ فَقَالَ إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » والمأثور في هذا الباب كثير وكثيرٌ جدا.

ابن عباس لما ذهب يناظر الخوارج، ماذا قال لهم؟ جئتم من عند أصحاب رسول الله وليس فيكم أحد، **انظر**، أراد أن يغرس هذا الأمر في قلوبهم وأن ينبههم عليه، جئتم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس فيكم أحد، فالأمر ليس بأمرٍ سهل، فالذي يحرص على اجتناب الفتن يحرص على ألا يصدر إلا عن أهل العلم المقتدى بهم، الراسخين الذين عرف عنهم بلاؤهم وجهادهم ونصحهم للأمة، كمن سميت بعضهم قبل قليل، يعني الآن كسماحة المفتي والشيخ صالح الفوزان وغيرهم من أשיاخنا وعلمائنا الكبار.

كذلك مما يذكر في هذا الباب لزوم العلم والثبات على طلبه فإن من أراد الله - جل وعلا - به الخير وفقه لسلوك العلم وورقه الفقه فيه، كما جاء في حديث معاوية - رضي الله عنه - : « **مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا** » يقول النبي - عليه الصلاة والسلام - : « **يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ** » علامة عظيمة تدل على إرادة الله - جل وعلا - بعبده الخير أن يفقهه في دين الله - جل وعلا - ولا يستوي أهل العلم مع غيرهم،

والعلم من أعظم المنن التي يمن بها ربنا - جل وعلا - على العبد، قد قال العلامة السعدي - رحمه الله - في منظومته التي في الفقه:

اعلم هريت أن أفضل المنن *** علم يزيل الشك عنك والدرن

تأمل العلم يزيل مرض الشبهات فتكون على يقين، ويزيل مرض الشهوات هذه الأوساخ تزيلها التقوى، لما تحصل العلم النافع تحرص على العمل، هذا العلم يزيل عنك هذا الشك فتكون محمياً بإذن الله - جل وعلا - من أمراض الشبهات، وكذلك يزيل عنك الوسخ فتكون محمياً بإذن الله - جل وعلا - من أمراض الشهوات.

اعلم هريت أن أفضل المنن *** علم يزيل الشك عنك والدرن

حتى لا يدركنا الوقت لعلنا نختصر، مما يجب على المرء أن يسلكه عند حدوث الفتن أن يجتنبها ويجتنب مواطنها ويجتنب أهلها، يجتنب الفتنة ويجتنب موطنها ويجتنب أهلها، جاء في قوله - جل وعلا -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨] انظر ماذا ساءهم الله - جل وعلا - أو وصفهم، وصفهم بالظالمين.

فإياك إياك أن تجلس مع من كان هذا حاله من أهل الفتن من أهل الشبهات من أهل الشهوات ابتعد عنه وفر منه،

وجاء عند أبي داود في سننه من حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - وهو حديث حسن، أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «مَنْ سَمِعَ بِالِدِّجَالِ فَلَيْنًا عَنْهُ»

انظر إلى هذا الأصل العظيم «مَنْ سَمِعَ بِالِدِّجَالِ فَلَيْنًا عَنْهُ» قال: «وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ» يقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «لَيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ» اسمع يا عبد الله، خاصة من يعني يقول أنا أثق في نفسي وأثق في علمي وما أنا عليه من الخير وما أنا عليه من الحق، وهذا باب من أبواب الشيطان، الشيطان له أبواب وأبواب كثيرة كما قال بعض التابعين: قد يفتح لك تسعة وتسعين باباً من أبواب الخير حتى يوقعك في باب واحد من أبواب الشر.

هنا ماذا يقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ» أو «لَمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ» هكذا قال، يعني اختلاف عند بعض الرواة. فالأمر ليس بالأمر السهل، السلامة لا يعدلها شيء، السلامة لا يعدلها شيء الأمر عظيم وخطير دينك يا عبد الله، كما قال مالك: «إِنَّمَا هُوَ لَحْمُكَ وَدُمُكَ، فَانْظُرْ عَمَّنْ تَأْخُذُ»، لا تجلس إلى أهل الفتن لا تجتمع مع أهل الفتن، لا تأت إلى مواطن الفتن، فر منها وابتعد عنها «مَنْ سَمِعَ بِالِدِّجَالِ فَلَيْنًا عَنْهُ»

يقول العلامة العثيمين - رحمه الله - شيخنا - غفر الله له - قال عند هذا الحديث "الابتعاد عن مواطن الضلال واجب" قال عند هذا الحديث أورده في شرحه على اللمعة؛ لمعة الاعتقاد، ثم ذكر هذا: "الابتعاد عن مواطن الضلال واجب"

والسعيد هو الذي يُجنب الفتن كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- عند أبي داود وغيره من حديث أبي المقداد قال: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ» ثم قال: «وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ» لو قُدِّرَ عليك وابتليت بشيء فاصبر يا عبد الله كما سيأتي معنا «وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا».

كذلك مما يُذكر عند حدوث الفتن التَّقْوَى ولزوم العبادة، التَّقْوَى ولزوم العبادة، جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- لما ذكر أو وعظ أصحابه تلكم الموعظة البليغة في حديث العرباض بن سارية، فطلب منه أحدهم النصيحة «كَأَنَّهُمَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»، لزوم التَّقْوَى.

وجاء في حديث معقل بن يسار عند مسلم في الصحيح أَنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ» الهرج أوقات الفتن، عند اختلاط الأمور، شوف تأمل، النبي يُرشدك إلى ماذا عند حدوث الفتن؟ أن لا تدخل فيها، طيب ماذا تفعل؟

انصرف إلى العبادة، انصرف إلى العبادة ومقام العبادة ماذا؟ عظيم، قال: «عِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ» هجرة إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، هذا فيه ماذا؟ أنك لا تدخل في الفتن ابتعد عنها، واحذر منها، طيب ماذا تفعل؟

أقبل على طاعة ربك أكثر من نوافل العبادات صلِّ صم اذهب أدِّ العمرة قم بفعل الحج إلى غير ذلك من مفردات العبادة، قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ».

كذلك مما يُذكر عند حدوث الفتن ونزولها ووقوعها الدُّعاء، أن يلجأ الإنسان إلى ربه -جلّ وعلا-، والدُّعاء هو العبادة وهو سلاح المؤمنين وقُرّة عين الموحدين، الدُّعاء أمره عظيم جدّ عظيم، ومن أراد أن يستجيب الله له -جلّ وعلا- من أراد أن يستجيب له الرّب -تبارك وتعالى- عند الشدائد والمحن فليكثر الدعاء حال الرّخاء جاء الحديث عند الترمذي وغيره: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرِّخَاءِ»

حديث ابن عباس: «تَعَرَّفَ إِلَيْهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ» هنا في هذا الباب قال النبيّ -عليه الصلاة والسلام- كما عند مسلم: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ».

كذلك مما نختم به هذا الباب وهو بابٌ كبير أعني موقف المسلم عند حدوث الفتن أقول بابٌ كبيرٌ وعظيم وإنما ذكرنا شيئاً يسير مما ذكره أئمتنا وأعلامنا، مما يُذكر هنا لزوم الصبر، الصبر نصف الإيمان.

الإيمان نصفان:

➔ شكرٌ

➔ وصبر.

وحقيقة الصبر الحبس، حبس القلب واللسان والجوارح على طاعة الله -جلّ وعلا-، وحبس القلب واللسان والجوارح عن معصية الله -تبارك وتعالى-، فعند حدوث الفتن ونزولها الواجب على المرء أن يصبر وقد جاء معنا في الحديث ؛ حديث المقداد: «وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا».

قوله -عليه الصلاة والسلام-: «فَوَاهًا»، هذه الكلمة يقولها المتأسف على الشيء، فالصبر عبادة عظيمة.

قال عمر -رضي الله عنه- كما عند البخاري معلقا: "وجدنا ألد عيشنا في الصبر"

اصبر يا عبد الله إذا ما نزلت بك الفتن، ونزلت بك المحن اصبر، وصبرك ماذا؟ أنك تثبت على الحق، قلنا هو حبس القلب واللسان والجوارح على طاعة الله تثبت على الحق هذا المعتقد الحق الذي عقدت قلبك عليه فاصبر عليه، هذا الخير الذي تنطق به بلسانك من ذكر الله -جلّ وعلا- تصبر عليه هذه العبادات التي تؤديها بجوارحك اصبر عليها هذا الصبر على طاعة الله -جلّ وعلا-، وتصبر عن معصية الله تحبس قلبك عن جميع العقائد الفاسدة لا يدخل فيها شيء من تلكم العقائد الباطلة، تحبس لسانك لا تتكلم بأي أمر يغضب الله -جلّ وعلا-، تحبس جوارحك عن كل ما يغضب الله -جلّ وعلا- ما تفعل أي أمر يغضب الله -جلّ وعلا-، والصابر ثوابه عظيم وأجره كبير، والصابرون هم أهل معية الله -جلّ وعلا- تكون في معية الله الخاصة، معية الحفظ والنصرة والتأييد، وكذلك لك أجر عظيم عند ربك -جلّ وعلا- ليس محصوراً يقول ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ الزمر: ١٠

انظر إلى عِظم هذا العطاء من رب العزة والجلال، فما على الواحد منّا إلا أن يصبر على طاعة الله -جلّ وعلا- ويصبر عن معصية الله -تبارك وتعالى-.

وأقف عند هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وجزاكم الله خيراً.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث الأنبياء

و جزاكم الله خيرا.

